

الشيوخ قد رَدَّهُم ما يرون، وما يسمعون إلى الصَّبَا وذكرياته، فانطلقت ألسنتهم  
بالحديث عما خاضوا من المعارك المُظفَّرة في الأيام الخالية، وما أبلَّوا في الجهاد، وما  
حصَّلوا من الغنائم، وما حازوا من السبايا ...

البادية الرَّحبة قد ازدحمت بالخلائق، وانتشرت فيها خيام الجُند، فضجَّت وعَجَّت؛ ففي  
كل خيمة حديث بين اثنين أو بين جماعة، وما تزال أصدااء الأغاني تتناوح بين المضارب،  
تُعَبِّر عن ألوان من الإشفاق والرغبة، أو من الشوق واللهفة، أو من العزم والفُتوة.  
هذا فتى لم ينسَ آخر لياليه في الحاضرة، ويُنشد حرَّان الفؤاد:

بنفسي من لو مرَّ برْدُ بنانه      على كبدي كانت شفاءً أنامله  
ومن هباني في كلِّ شيء وهبته      فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

وذاك فتى آخر يستقبل أول أيام الفراق باللوعة، فيُغني:

يطول اليوم لا ألقاك فيه      ويومٌ نلتقي فيه قصيرُ  
وقالوا: لا يضيرك نأي شهرٍ      فقلتُ لصاحبي: فما يضير؟

وثالث يتهياً للغارة قبل إبان الغارة، فيُنشد:

وإنَّا لَتُصْبِحُ أسيافنا      إذا ما اصطبحن بيوم سَفوكِ  
منابرهنَّ بطون الأكفِّ      وأعمادهنَّ رؤوسُ الملوكِ

ورابعٌ قد خرج للغنيمة والتماس أسباب الخَفْض والدَّعة، قد خَلَّف من أجل ذلك  
أهله وجيرانه، فيقول:

لا يمنعك خَفْضُ العيش في دَعَةٍ      نزوحُ نفسي إلى أهلٍ وأوطانِ  
تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلت بها      أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ